في أي حال ، لقد وضع ديغول بلاده على الطريق الصحيح . وعندما استقال وجاء بومبيدو خلفا له ، توقع الكثيرون ان تذهب الديغولية مع ديغول ، وتوقع الكثيرون ، في صورة خاصة ، ان يظهر التحول في السياسة الفرنسية ، في الشرق الاوسط .

لكن الذي حدث ان جورج بومبيدو لم يكن ، في أي وقت ، أقل موضوعية من سلفه . وبينما كانت القضية الفيتنامية تصل الى مرحلة التكامل ، كان بومبيدو يتحدث في كل مناسبة عن حقوق الشعب الفلسطيني . ولعل بومبيدو تعرض أكثر من سلفه لحملات الصهيونية التي وصلت الى ذروة وقاحتها خلال زيارته للولايات المتحدة ، حيث لقي من الاوساط الصهيونية بذاءات اضطرت ريتشارد نيكسون الى الاعتذار عنها شخصيا .

بعد وفاة بومبيدو كانت المعركة طاحنة بين فاليري جيسكار ديستان ، مرشح الديغوليين ، وبين فرنسوا ميتران ، مرشح اتحاد اليسار .

وكانت الدول العربية تراقب معركة الانتخابات الفرنسية هذه المرة وهي أكثر اهتماما وترقبا من أي مرة سابقة . فقد بدا لفترة انه سواء فاز جيسكار ديستان او ميتران ، فان السياسة الفرنسية تجاه العرب مقبلة على تغيير لن يكون في مصلحتنا .

فالاول ليس من الحزب الديغولي نفسه بل هو زعيم الجمهوريين المستقلين الذين يدعمون الاكثرية الديغولية . وفوق ذلك فقد تعاطى دائما في شؤون المال والاقتصاد وبالتالي ليست له أي مواقف سياسية واضحة . ثم ازدادت المخاوف خلال الحملة عندما أدلى جيسكار ديستان فعلا بأقوال يمكن تفسيرها ببساطة على انها تأييد لاسرائيل . أما فرنسوا ميتران ، من جهته ، فهو مشهور بتأييده لاسرائيل وبأن الذين حوله من مؤيدي اسرائيل ، مع العلم طبعا ان تحالفه مع الحزب الشيوعي كان سيشكل ضوابط معينة اذا ما وصل الى الاليزيه .

من هنا ان تصريحات ومواقف جيسكار ديستان الفلسطينية كانت مفاجئة حقا ، اذا لم نقل مذهلة . فقد تخطى الرجل في الواقع كل المواقف التي ذهب اليها سلفاه في تزعم الجمهورية الخامسة ، عندما أصبح اول زعيم غربي في الحكم ينادي بحقوق الشعب الفلسطيني ، بمعناها الشرعي والقومي .

لقد طالب ديغول وبومبيدو من قبل بوجوب الاعتراف بهذه الحقوق غير انهما لم يصلا الى حد المطالبة باعادة قيام الوطن الفلسطيني بالصورة التي رآها الرئيس الفرنسي الحالي . والسبب واضح طبعا : ان رؤيا الرئيسين السابقين لم تكن أقل تعاطفا او رغبة في العدل ، لكن رؤيا الرئيس الحالي وجدت في الثورة الفلسطينية التي وصلت الى ذروة التكون ، تجسيدا عمليا لما يمكن ان تلزم فرنسا نفسها بها من موقف حاضري ومستقبلي ، او بالاحرى الموقف الرؤوي .

هنا ايضا لا بد من النظرة « التاريخية » الى الموقف الفرنسي : ان قرب فرنسا من المنطقة العربية وكونها شهدت « من الداخل » المظالم الاستعمارية التي بدأت مع وعد بلفور ، بالاضافة الى انها شاركت في هذه المظالم خلال مرحلة ما ، كما شاركت في التقسيمات — ان هذه العوامل التاريخية بالاضافة الى مسارعة فرنسا في تقبل وقائع العالم الجديدة ، هي التي أملت الموقف الفرنسي الموضوعي تجاه القضية الفلسطينية في مرحلتها الحاضرة .

ولا يمكن بالطبع ، وفي صورة عامة ، ان نفصل تطلع فرنسا الى مصالحها ، مثلها مثل أي دولة كبرى او صغرى . والواقع انه لو أدركت كل دولة اوروبية مصالحها الحقيقية ، او لو استطاعت هذه الدول ان تتخطى النفوذ الصهيوني المتركز في معظم